١٨ ــ جولة حول العالم

صورتان متناقضتان

● الخطبة الأولى:

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

كنت في جولة في العالم الإسلامي، وخارج العالم الإسلامي.

زرت المسلمين في أقطارهم وأوطانهم وزرت ـ أيضاً ـ بعض المسلمين خارج الأقطار والأوطان الإسلاميّة، حين يعيشون أقليّات ـ أو جاليات ـ في مجتمعات غير إسلاميّة.

والذي خرجت به صورتان متناقضتان:

صورة مشرقة مضيئة، تملأ النفس بهجة وسروراً.

وصورة أخرى مظلمة معتمة، تفتّت الأكباد، وتقطّع نياط الفؤاد.

هاتان الصورتان نطالعهما في كلّ مكان.

صورة معتمة لبعض المسلمين:

صورة بعض أولئك الذين ينتسبون إلى الإسلام، ويتسمّون بأسماء المسلمين، وقد نسلوا من بين ظهراني المسلمين، آباؤهم مسلمون وأمّهاتهم مسلمات، ولكنّهم يعيشون عيشة بعيدة عن الإسلام، ويحيون حياة غير إسلاميّة.

هذه الطائفة من الناس نراها في كلّ مكان، نراها هنا وهناك وهنالك في أرض العرب، وفي أرض الإسلام.

ترى أولئك الذين يحملون الأسماء الإسلاميّة، ولكنّهم لا يحيون الحياة الإسلاميّة.

ترى ذلك الشاب الذي نشأ من بين أبوين مسلمين، ولكنّه لا يقيم الصلاة.. لا يعظّم شعائر الله.. لا يلتزم بأدب الإسلام، ولا بخلق الإسلام.. يشرب المسكرات، ويتناول المخدّرات، ويمشي وراء الفتيات، ويعيش عيشة الغربيّين الذين لا دين لهم، وإن تسمّوا في بعض الأحيان بأسماء المسيحيّة وغيرها.

هذا من ثمار (تيّار التغريب) الذي يعمل عمله منذ مدّة من الزمن في قلب الأمّة الإسلاميّة.

كان هناك مستعمرون احتلّوا ديار الإسلام حيناً من الزمن، طال أو قصر، ثمّ جلت جيوش هؤلاء الأجانب، رحلت عساكرهم، ولكن لم ترحل أفكارهم وثقافاتهم وقوانينهم وتقاليدهم ومخطّطاتهم، بقيت تعمل عملها في الأنفس والعقول والحياة، وهذا هو الاستعمار الأخطر والأعمق.

الاستعمار السياسيّ والعسكريّ يحتلّ الأرض، ولكنّ الاستعمار الفلسفي والفكري والثقافي والاجتماعي يحتلّ نفس الإنسان وعقله وقلبه، يحتلّ حياته، ويحتلّ تقاليده وآدابه ومفاهيمه، وهذا هو الخطر.

رأينا الاستعمار قد رحل عن بلاد المسلمين، ولكن ترك وراءه من يعمل عمل المستعمرين، بل وجدنا من أبناء المسلمين من هو شرّ من المستعمرين.

كان المستعمرون يستحيون أن يحاربوا الإسلام جهرة وعلانية، فوجدنا من حكّام المسلمين من يقف ضدّ الإسلام.. من يحارب الله ـ جلّ جلاله ـ علانية .. من يتحدّى أحكام الإسلام وشرائعه جهاراً.

هؤلاء بعض من رضع لبان الاستعمار.. بعض من ربّاهم الاستعمار على يديه، وصنعهم على عينيه.

كان من نتيجة هذا أن وجدنا بلاداً إسلاميّة تتنكر للإسلام. ولا يبقى فيها من الإسلام إلاّ اسمه، ولا من القرآن إلاّ رسمه، ووجدنا من أبناء المسلمين من وصفت لكم، ووجدنا من بنات المسلمين من تخرج من أدبها وزيّها وحجابها، تخرج تراقص الأجانب، وتمشي في الطرقات مكشوفة الذراعين والساقين، بل ما هو فوق الذراعين والساقين، لا تعترف بخلق إسلامي، ولا بأدب إسلامي، من الكاسيات العاريات، المائلات المميلات.

رأينا هذا كلّه في بلاد المسلمين، ورأينا أكثر منه خارج بلاد المسلمين.

رأينا مسلمين في جناليات قد نسوا إسلامهم، وبعضهم ـ ممّن ذكر إسلامه ـ قد نشأت له ناشئة لا يعرفون عن الإسلام ألفاً ولا باء.

بعض المسلمين الذين هاجروا إلى ديار بعيدة قد ولد لهم أولاد.. أبناء وبنات.. ولكن هؤلاء نشأوا في مجتمعات غير إسلاميّة، ولم يجدوا من الآباء والأمّهات من يربّيهم على الإسلام، ومن ينشّئهم على الإيمان والإحسان، فنشأ ونشأة بعيدة عن المسلمين، فقدهم أهلوهم، أصبحوا أناساً آخرين.

هذا ما حذّرت منه أولئك المسلمين في تلك البلاد، وقلت لهم: إن كنتم قد جئتم لتجمعوا الدنيا وتخسروا الدين، فما أسوأ هجرتكم، وما أقبح غربتكم! إذا كسبتم دنياكم وخسرتم أولادكم وذراريكم، ولم تحموهم من النّار، فما كسبتم شيئاً.

وجدنا هذا في بلاد كثيرة.

صورة معتمة، صورة مظلمة، نراها في كلّ مكان.

صورة مضيئة لأبناء الإسلام:

ولكن بجوار هذه الصورة المعتمة.. الصورة السوداء: صورة أخرى مضيئة، مشرقة بالنّور، فوّاحة بالعطر، فيّاضة بالجمال، موحية بالخير والبركة، مبشّرة بالظهور والانتصار بإذن الله.

هذه الصورة: صورة أبناء الصحوة الإسلاميّة، صورة الرجعة إلى الإسلام، صورة أولئك التَّوَّابين المتطهرّين، صورة أولئك الذين نراهم في كلّ مكان، من أبناء الإسلام وبناته.

كنت في مدينة (استانبول) التي كانت عاصمة الخلافة الإسلامية العثمانيّة، فوجدت الصورة المظلمة، وجدتها في أولئك الذين لا تفرقهم عن الأوروبيّين في شيء في بلاد السياحة التي أعمت أعين الناس، وأصبحت (صنماً) يتعبّد له الكثيرون.

ولكن بجوار هذا: ترى أولئك الذين يعمرون المساجد، ويملأونها أيّام الجمع، فتضيق بهم، ويصلّون في الشوارع، وهذه ظاهرة عامّة في بلاد الإسلام، وهي صورة مضيئة بلا ريب.

رأيت في تركيا آلاف المدارس القرآنيّة: البنين والبنات، والأطفال من الجنسين، يقرأون القرآن ويحفظونه، وقد تجد منهم من يحفظه عن ظهر قلب، وهو لا يعرف معنى كلمة في اللغة العربيّة، وهذا من معجزات هذا القرآن العظيم: أن يحفظه من لا يفهم لغته.

ازدياد البنوك الإسلاميّة:

كنت في (سويسرا) أحضر اجتماعاً لدار المال الإسلامي في (جنيف)، ولبنك التقوى في (لوجانو)، وقلت: سبحان الله، في وقت من الأوقات كانوا يقولون: إنّه لا يمكن أن تستغني الحياة عن الربا، الفوائد الربويّة ضرورة من ضرورات الحياة المعاصرة، الحياة عصبها الاقتصاد، والاقتصاد عصبة البنوك، والبنوك عصبها الفوائد الربويّة، فلا تحلموا ببنوك بغير ربا.

هكذا كانوا يقولون لنا في وقت من الأوقات.

ثمّ شاء الله أن تتحطم هذه الأسطورة، وأن يقف علماء المسلمين من كل الاختصاصات: الاقتصاديّون، والقانونيون، والإداريّون، والمحاسبون، بجوار

رجال الفقه والشريعة، يُجمعون على أنّ الربا والفوائد الربويّة، وفوائد البنوك هي: الربا الحرام.. الحرام.. الحرام[1].

ثم بعد ذلك يبحثون عن البدائل الشرعيّة، فإذا البنوك الإسلاميّة تتعدّى الآن (السبعين)، والمهمّ أنّها تدخل أوربّا وتدخل بلاد الغرب!.

في سويسرا: دار المال وبنك التقوى، وفي لندن بنوك البركة، وفي الدنمارك: بيت التمويل الإسلامي، وهكذا بدأت البنوك الإسلاميّة تغزو عالمنا الإسلامي، وتخرج من العالم الإسلامي إلى العالم الأوروبي.

صحيح أنّها تُقاسي وتُعاني وتُحارب من جهات شتّى، في داخل بلاد المسلمين وخارجها، ولكنّها تقف على أرض صلبة، بسبب مؤازرة المسلمين لها.

أصبح هناك شعور إسلاميّ عام يريد أن لا يبوء بلعنة الله ورسوله، فقد لعن الله الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء[2].

أصبح هناك شعور إسلامي يريد أن يأذن بحرب من الله ورسوله ولهذا

---

(١) وإذا بنا نفاجأ في صيف عام ١٩٩٠م بقوم يثيرون قضيّة الفوائد على صفحات الصحف المصريّة من جديد، بعد أن كانت المجامع والمؤتمرات العلميّة الإسلاميّة قد حسمتها منذ أكثر من ربع قرن، وحاولوا جاهدين أن يحوّلوا المحكمات إلى متشابهات والقطعيّات إلى ظنّيات، وبلغت بهم الجرأة أن أفتوا بحلّ فوائد البنوك، وكأنّه قد كُتب علينا أن نظلّ ـ كما يقول الأستاذ القرضاوي ـ: ندور حول أنفسنا كالثور في الساقية فلا نحسم معركة يوماً ولا نغلق قضيّة بحال من الأحوال، وكان الشيخ حفظه الله في مقدّمة من تصدّى لبيان الحق وكشف الزيف والردّ على الشبهات والأباطيل، وكان للدراسة الممتعة التي نشرها في كتابه: (فوائد البنوك هي الربا الحرام) صداها القوي في إبلاغ هداية الله وإسماع صوت الحقّ، فجزاه الله خير ما يجزي العلماء الصادقين.

(٢) جاء ذلك في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لعن النبي ﷺ آكل الربا، ومُؤكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: «هم سواء» رواه مسلم، وغيره (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٥٣٤ برقم ١٠٥٦).

يحرص المسلمون على البحث عن المال الحلال، والرزق الحلال، لا يريد أن يدخل جيبه درهم من حرام، ولا أن يدخل بطنه لقمة من حرام، ولا أن يغذّى أولاده بالحرام أم يكسوهم من الحرام.

هذا شعور إسلامي عارم عام.

شباب الصحوة الإسلاميّة:

هناك في العالم الإسلامي كلّه: ألوف وملايين الشباب الذين شرح الله صدورهم للالتزام بالإسلام الصحيح علماً وعملاً، يعمرون مساجد الله، بعد أن كانت شبه مقصورة ـ قديماً ـ على الشيوخ الكبار الذين اقتربوا من حافة القبر، وهؤلاء الشباب هم الذين يملؤون مواسم الحج والعمرة كلّ عام، وهم الذين يلتهمون الكتب الإسلاميّة من معارض الكتب، وهم الذين يسارعون إلى الجهاد كلّما دعاهم داعي الجهاد في سبيل الله.

وبجوار هؤلاء نجد الشابّات المسلمات في الجامعات والمعاهد والمدارس، وغيرها من المؤسسات، يقبلن على (الحجاب) طائعات مختارات، مستجيبات لأمر الله تعالى للمؤمنات: ﴿.. وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ..﴾ [النور: ٣١].

لقد تمرّدن على أزياء الحضارة الغربيّة المستوردة، التي توارثنها عن أمّاتهنّ وقريباتهنّ، والتزمن بأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ.

هذه بعض معالم الصورة المضيئة.

في (انجلترا) حضرت هناك مخيّماً للشباب المسلم في مدينة (ليفربول). مخيّم الشباب المسلم هذا يجمع صفوة الشباب الذين ذهبوا إلى تلك البلاد ليدرسوا (البكالوريوس) أو (الماجستير) أو (الدكتوراة).

كانوا قديماً يبعثون بالشباب إلى أوروبا وأمريكا ليصنعوا هناك، ويُصهروا هناك، ويعودوا بعد مدّة من الزمن خواجات بأسماء مسلمين، يعودون بوجوه

عربية إسلاميّة، وعقول غربيّة أوربيّة.

اليوم تغيّر الحال، أصبح كثير من الشباب يذهبون إلى تلك البلاد ودينهم قليل، وتدينهم ضعيف، وصلاتهم خفيفة، ولعلّه لا صلاة لهم، فإذا هم هناك يشعرون بالتحدّي للإسلام والمسلمين، وإذا هم يجدون شباباً قد سبقوهم إلى الإسلام الصحيح، والالتزام الإسلامي الصادق، فإذا هم يتأثّرون بهذا الجوّ الإسلامي والمناخ الإسلامي، ويلتزمون بالإسلام اعتقاداً وفكراً وشعوراً وسلوكاً وعبادة ومعاملة.

وإذا هؤلاء الشباب يصبحون دعاة إلى الإسلام، لم يكتفوا بأن يكونوا متديّنين في أنفسهم، بل يحملون الإسلام إلى غيرهم، ويقيمون في ديار الغربة.. في ديار غير إسلاميّة: مخيّمات ومعسكرات إسلاميّة، يُكبّر الله فيها، يُنادي فيها بالإسلام، يُؤذّن فيها الأذان، تُلقى فيها المحاضرات الإسلاميّة، والأناشيد الإسلاميّة، وتُعقد فيها الندوات الإسلاميّة: من قبل الفجر وإلى ما بعد العشاء.

مؤتمرات إسلاميّة في أمريكا:

والله لقد حضرت مخيماً أو مؤتمراً في إحدى مدن أمريكا فرأيت عجباً:

فندقان كبيران قد حُجزا، أحدهما للرجال، والآخر للنساء، الطوابق الثلاثين قد أجّرها الشباب في عيد ممّا يسمّونه (أعياد الكرسمس)، الناس يأخذون الإجازات في تلك الفترة ليشربوا الخمور ويمارسوا الفجور، وهؤلاء الشباب استغلّوا هذه الفترة ليستأجروا فنادق يقيمون فيها دينهم!.

من قبل الفجر بساعة تسمع في الحجرات دويّاً بالقرآن كدويّ النّحل، حتى إذا جاء الفجر الصادق سمعت الأذان يؤذّن في قلب أمريكا: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلاّ الله، فإذا جاء الصباح رأيت التمرينات الرياضيّة، ثمّ رأيت الأناشيد الإسلاميّة، ثمّ رأيت حلقات القرآن ودراسة الحديث والسيرة، وحلقات للفقه وتعلّم الأحكام، ثمّ رأيت المحاضرات والنّدوات والمناقشات.

حياة إسلاميّة لعدّة إيّام.

قلت لهم: والرجل صاحب الفندق رضي بهذا؟ قالوا: نعم، وفرح به، لأنّه يؤجّره للمسيحيّين في مثل تلك الفترات فيكسرون الأطباق، ويخرّبون الأشياء، ولكنّه يأخذ الأشياء منّا بعد رحيلنا أفضل ممّا كانت!.

نماذج وضاءة.. نماذج مسلمة، تقرُّ بها الأعين، وتنشرح بها الصدور، وتبتسم لها الثغور.

إذا كانت هناك صورة مظلمة معتمة، فبجوارها صورة مضيئة مشرقة في كلّ مكان.

صحوة في أستراليا:

في (أستراليا) بجوار أولئك الذين ذابوا في المجتمع غير المسلم، وذاب أبناؤهم وبناتهم وضاعوا، وجدنا آخرين حريصين على دينهم، غيورين على أبنائهم وبناتهم، يربّونهم على الإسلام، وينشّئونهم على القرآن منذ الصغر، فمن شبّ على شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه.

رأينا هؤلاء يتجمّعون في المساجد في كلّ حين، خاصّة في أيّام الجمع والسبت والأحد، ليعلّموا أبناءهم القرآن والسيرة النبويّة والفقه وغير ذلك من أحكام الإسلام، ويجتمعون في حلقات وفي أسر ليبقوا على حياتهم الإسلاميّة.

وهم في تلك البلاد لا ينسون إخوانهم في البلاد الإسلاميّة الأخرى.

أعجبني بعد أن خطبت الجمعة في أحد المساجد في مدينة (مربول) ـ وفيها جالية إسلاميّة وعربيّة كبيرة وخاصّة من اللبنانيين ـ بعد الصلاة تنادوا بالتبرّع لأخوانهم في السودان!.

كانت أنباء الفيضانات في السودان على أشدّها، فهم تنادوا بالتبرّع للسودان، رغم بُعد الشقّة، ورغم طول المسافة، هم يشعرون بأنّهم جزء من

الأمّة الإسلاميّة: «من لا يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم...»[1].

صورة من الصور المضيئة: دُعيت هناك إلى مؤتمر إسلاميّ في تلك المدينة، همّه ومحوره: البحث عن حلول لمشكلات المسلمين المغتربين هناك.

فهم يريدون أن يحيوا بالإسلام، وأن يحيوا للإسلام، وأن يموتوا على الإسلام، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

حكوا لي: أنه قبل أكثر من قرن ـ حوالي قرن ونصف استدعي إخوان لهم من أفغانستان، بإبلهم وجمالهم، ليجوبوا الصحراء، ويكتشفوها، وينتفعوا بها، ولكنهم ذهبوا بغير زوجاتهم، فتزوّجوا من أهل استراليا نفسها، واستطاع الجيل الأوّل أن يحتفظ بإسلامه، ولكنّ الأجيال التالية بعد ذلك لم تستطع أن تحتفظ بإسلامها، فتاهت وذابت وماعت في المجتمع الكبير، وهذا هو الخطر، وقالوا: لا نريد أن تتكرّر التجربة، نريد أن نحتفظ بأبنائنا مسلمين وبناتنا مسلمات.

هذه هي الروح الإسلاميّة، هذه هي الصورة المضيئة التي لمسناها هناك.

في (أندونيسيا) وجدنا هناك تيّارات.. تيّارات كبيرة.. تيّارات تريد أن تسلخ هذا البلد الكبير.. أكبر بلد إسلامي.. مائة وستون مليوناً.. حوالي (٩٠٪) أو ما يقرب من (٩٠٪) منهم مسلمون.

هناك تيّارات التنصير تعمل عليها، على قدم وساق، ومن أوروبّا وأمريكا، ومن كلّ بلاد التنصير تجيء الإرساليات.

إندونيسيا مجموعة من الجزر تبلغ ثلاثة آلاف جزيرة، المسلمون يتصلون

---

(١) رواه الطبراني في الكبير من حديث حذيفة من رواية عبد الله بن أبي جعفر وهو مختلف فيه، فبعضهم ضعّفه، وبعضهم وثّقه، منهم أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان. انظر: (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: حديث ٩٩٧) والهيثمي (١/ ٨٧).

بهذه الجزر عن طريق القوارب، أو السفن الشراعيّة، أو البخاريّة على أقصى تقدير، ولكن هذه الإرساليّات التبشيريّة التنصيريّة تملك أكثر من خمسين مطاراً! بالطائرات تنتقّل بين الجزر.. إمكانات هائلة أعطيها هؤلاء.. إنّهم يريدون أن يعملوا عملهم في ذلك البلد الكبير.

وللأسف أقول لكم بصراحة: لقد بدأت نسبة المسلمين في التناقص، يجب أن نصارح أنفسنا، وهذا ما قاله لي الإخوة المسؤولون عن الدعوة هناك، وعلى رأسهم الأخ الكبير الدكتور محمد ناصر رئيس وزراء اندونيسيا الأسبق. قالوا لي: إنّ النّسبة بدأت تتناقص لحساب التبشير، ليس تناقصاً كبيراً.. أقل من (١٪)، ولكن (١٪) في هذا التعداد الضخم يساوي مليوناً وستمائة ألف، و(٢/ ١٪) معناها ما يقارب المليون، وهذا خطر.

الإسلام بطبيعته يزحف وينتشر، ولكن إذا وُجد في مثل هذه الظروف التي يُستغلّ فيها ثالوث (الفقر والجهل والمرض)، فإنّ هؤلاء القوم يستطيعون أن يؤثّروا.

إن للتبشير وللتنصير في البلاد العربيّة هدفاً، وإنّ له في خارج المنطقة العربيّة هدفاً آخر.

هدفه في المنطقة العربيّة ـ منطقة اللسان العربيّ الذي نزل به القرآن ـ أن يزعزع المسلمين عن الإسلام، وليس هدفه أن يدخلهم في النصرانيّة، فهو يجد هذا شيئاً بعيداً.

أمّا خارج هذه المنطقة حيث يوجد الفهم الضعيف للإسلام ـ توجد عاطفة إسلاميّة، ولا يوجد فهم إسلاميّ صحيح.. لا توجد مناعة.. لا توجد حصانة إسلاميّة ـ فهم يعملون على إخراج المسلم من دينه، وإدخاله في الدين الآخر، وخصوصاً من الأطفال والفقراء والمشّردين والضعفاء واليتامى وغيرهم، هم يبحثون عن مثل هؤلاء ويأخذونهم من أولّ الأمر ومنذ نعومة الأظفار ليعلّموهم ويلقّنوهم دينهم.

بجوار هذه الصورة. هناك سعي دؤوب من الدعاة، ومن المجلس الأعلى للدعوة الإسلاميّة، ومن الغيورين على الإسلام، للمقاومة وللحفاظ على الذات، وللإبقاء على الشخصية الإسلاميّة التاريخيّة لإندونيسيا.

صنفان من المسلمين متقابلان:

الإسلام في كلّ مكان يجد هذين الصنفين:

صنف المتغرّبين الذين انخلعوا من أصولهم، وقطعوا من جذورهم، وسلخوا من جلدهم، أو من ذاتيّتهم الإسلاميّة، هؤلاء الذين يتسمّون بأسماء المسلمين ولا يعملون عمل المسلمين.

ويجد الصنف الآخر: الصنف الذي يأبى إلاّ أن يعيش مسلماً ويموت مسلماً، الذي جعل الإسلام أكبر همّه، ومحور حياته، ومدار تفكيره وسعيه.

ونحمد الله أنّ هذا الصنف بدأ يزداد يوماً بعد يوم، بفضل هذه الصحوة الإسلاميّة التي نرى آثارها ونلمس مظاهرها في كلّ مكان من أرض الإسلام، وخارج أرض الإسلام.

صحيح أنّ أعداء الإسلام لها بالمرصاد، وأنّ أجهزة الرصد ترصدها وترقبها، وترصد الملايين لدراستها، لكي تعمل على وأدها، فإمّا أن تتآكل من الداخل، وإمّا أن تُضرب من الخارج، تريد أن تشغلها بنفسها، وتشغل فئاتها بعضهم ببعض، وتقيم بينها وبين الحكام عداوات وجفوات، وتقيم بينها وبين المجتمع فجوات وفجوات، وهكذا أعداء الإسلام بالمرصاد للصحوة الإسلاميّة.

واجب أبناء الصحوة:

وينبغي على أبناء الصحوة الإسلاميّة أن يفوّتوا على هؤلاء مقاصدهم، إذا وعوا دورهم وعياً صحيحاً، إذا اهتمّوا بالكلّيّات قبل الجزئيّات، وبالأصول قبل الفروع، وبالقضايا الكبيرة قبل الأمور الصغيرة، وبالقضايا الكلّيّة قبل المسائل

الجزئية والخلافية التي يستحيل أن ينتهي الخلاف فيها بين الناس.

يجب على الصحوة الإسلاميّة أن تدرك هذا الدور، وتدرك كيد الأعداء الذين يسعون سعيهم في تمزيق الصف الإسلامي عن طريق نشر ضلالات وبدع وانحرافات يروّجون لها، فلا بدّ لأبناء الإسلام الواعين أن يعرفوا كيد القوم، وأن يحبطوا مكرهم، ويردّوا سهامهم المسمومة إلى صدورهم: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

إنّ الصورة المضيئة تزداد والحمد لله وعندنا أمل كبير أن ينصر الله الإسلام ويعزّ دينه، وعندنا بشائر من القرآن والسّنة: أنّ هذا الدين منصور، وأنّ رايته مرفوعة وأنّه ظاهر على الدين كلّه ولو كره المشركون، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩]، وصدق رسوله ﷺ إذ قال: «ليبلغنّ هذا الأمر [أي أمر هذا الدين] ما بلغ الليل والنّهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر [أي في البادية أو الحضر] إلاّ أدخله الله هذا الدين، بعزّ عزيز، أو بذلّ ذليل، عزّاً يعزّ الله به الإسلام، وذلاً يذلّ الله به الكفر»[1].

وإنّا لهذا اليوم - يوم عزّ الإسلام وذلّ الكفر - إن شاء الله لمنتظرون: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [الروم: ٤ - ٦].

أقول قولي هذا أيها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح. انظر (المبشرات بانتصار الإسلام للقرضاوي: ص٢٧) ط. مكتبة وهبة بالقاهرة.

● الخطبة الثانية:

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

هناك أمور ثلاثة، أحبّ أن أنبّه عليها:

الأمر الأوّل: أنّ إخوة لكم في (بنجلادش) ـ ذلك البلد الإسلامي السّنّي العريق، الذي يضمّ حوالي تسعين مليوناً، معظمهم مسلمون سنّيّون ـ يتعرّضون لأزمة شديدة، نتيجة الفيضانات التي شرّدت الملايين، وهدّمت البيوت، وغرّقت الناس. فهم بحاجة إلى المعونة: «.. والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»[1].

لقد رأيتم إخوانكم في (أستراليا) يهتمون بإخوانهم في السودان، ونحن أولى أن نهتّم بإخواننا في السودان، ونحن أولى أن نهتمّ بإخواننا في ذلك البلد المسلم ـ في بنجلادش ـ الذي يتعرّض لغزو تبشيريّ تنصيريّ أيضاً، حرام علينا أن تذهب أولئك الفئات الذين يمثلون الجهات المسيحيّة، ولا توجد الجهات الإسلاميّة ممثّلة تمثيلاً قويّاً.

جزى الله دولة (قطر) خيراً، حيث بادرت بإرسال المعونة، وذهبت أوّل طائرة تحمل المعونات الطبية والغذائيّة إلى ذلك البلد، ونحن باعتبارنا مسلمين أفراداً علينا أن نقوم بهذا الأمر.

---

(١) قطعة من حديث رواه مسلم، وأبو داود، والترمذيّ وحسّنه، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو الحديث السادس والثلاثون من أحاديث الأربعين النووية، ونصّ الحديث كما رواه الترمذي: «من نفّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر في الدنيا يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: برقم ٤٧٢، ١٣٨٥، ١٥٧٠).

لقد قام الكثيرون بواجبهم نحو إخوانهم في السودان، حتى قال لي بعض الإخوة السودانيّين: إنّ السودان وجد الكثير من المعونات من (قطر) جزاها الله خيراً، والآن علينا جميعاً أن نوجّه المساعدة إلى (بنجلادش)، وسنفتح ـ إن شاء الله ـ حساباً في مصرف قطر الإسلامي تحت اسم (الهيئة الخيريّة الإسلاميّة) لمساعدة الإخوة في هذا البلد الإسلامي.

نسأل الله أن يعينهم على أزمتهم، وأن يخرجهم من كربتهم، وأن يكشف غمتهم.

الأمر الثاني: أنّنا ودّعنا ـ في هذه الأيام ـ أخاً كريماً من الدعاة إلى الله، الذين طالما استمعنا إليهم وزارونا في أكثر من مناسبة، خاصّة في رمضان، وفي رمضان الماضي كان هنا ـ في الدوحة ـ وحدّث الإخوة في الجامع الكبير.

ذلكم هو الأخ الداعية الدكتور: يوسف حامد العالم[1]، أحد الدعاة في السودان، توفّي إلى رحمة الله تبارك وتعالى، نسأل الله أن يتقبّله في الصالحين، ويغفر له، ويرحمه ويجزيه عن الدعوة الإسلاميّة، والعمل الإسلامي خير الجزاء.

الأمر الثالث: أن الله سبحانه وتعالى شرّف (قطر)، بأن تضمّ قافلة الشهداء في أفغانستان أوّل شهيد من أبناء هذه البلاد، هو ذلكم الشاب الصالح الغيور المتحمس ابن الثامنة عشرة: أحمد عبد الله صالح الخليفي، الذي أخذ إجازة من عمله، ولكنّه استغلّ هذه الإجازة ليذهب إلى أفغانستان هناك، ويخوض المعارك، ويطلب الشهادة.

صحيح أنّه كان يتمنّى ويدعو الله أن يردّه ـ بعد أن يأخذ الخبرة من أفغانستان ـ لتكتب له الشهادة في أرض (فلسطين) لتحرير المسجد الأقصى.

---

(١) عميد سابق لكلّيّة القرآن الكريم بالخرطوم، وهو صاحب كتاب (المقاصد العامّة للشريعة الإسلاميّة) الذي أعدّه لنيل درجة الدكتوراة في الفقه وأصوله من كليّة الشريعة والقانون بجامعة الأزهر عام ١٣٨١هـ/ ١٩٧١م.

كان يدعو بذلك ولكنّ الأجل وافاه، وكل إنسان يذهب إلى موتته حيث أراد الله، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

مشيناها خُطى كُتبت علينا ومن كُتبت عليه خُطى مشاها

ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

استشهد هذا الشاب الصالح المجاهد، وضُمّ إلى قافلة الشهداء الأبرار، في أشرف قتال من نوعه في تلك الأراضي حيث يدافع المسلمون عن دينهم وأرضهم وعرضهم، في مقاومة تلك القوّة الشيوعيّة الملحدة الطاغية.

نسأل الله الذي هيّأ لإخواننا في أفغانستان هذا الجهاد وهذا الشرف، أن يهيء أمثاله لأبناء الإسلام على أرض النبوّات.. على أرض المقدّسات في فلسطين، وأن يهيّىء الله النصر للمسلمين في كلّ جهاد يجاهدونه، إنّه سميع قريب.

اللّهمّ انصر الإسلام وأعزّ المسلمين، اللّهمّ اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة الذين كفروا هي السفلى.

اللّهمّ أعل بنا كلمة الإسلام، وارفع بنا راية القرآن.

اللّهمّ إنّا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

اللّهمّ لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلّ من ذلك.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].